تصميم وصناعة الاثاث في حضارة وادي الرافدين

ان تطور العمارة يقود الى ازدهار الفنون والصناعات التي تسير مرادفة لها ، و من تلك الفنون والصناعات التي تواكب التطور العمراني هو تصميم وصناعة الاثاث اذ انه يرتكز على فكر هندسي متقدم يعتمد البناء والانشاء كقاعدة له ، و يتضمن حساً فنياً راقياً ، وذوقاً عالياً ، وعياً وحساسية في استخدام وتطويع المواد الاولية المحلية المتوفرة. ومن اهم مقومات تصميم وصناعة الاثاث استلهام الفكر والثقافة السائدة وتبني الموروث كقاعدة اساسية ونشاهد هذه المعطيات بكل وضوح في صناعة الاثاث والتي وصلتنا عبر اثار وادي الرافدين

اصلة بورتر
مؤرخة فن

ان حضارة العراق القديم بنيت وازدهرت على حوضي نهري دجلة والفرات، ولكن رغم اهمية الانهار في تطور وتقدم البناء الحضاري الا انها في الوقت نفسه كان لها الجانب السلبي ايضا، اذ لم يكن من السهولة السيطرة على فيضانات دجلة والفرات وروافدهما مما سبب ذلك بغمر مناطق واسعة بالمياه لفترات طويلة، وبعد انحسار المياه وبحلول فصل الصيف تتغير الحالة المناخية الى طقس شديد الحرارة، وبالرغم من احتواء دجلة والفرات وروافدهما مناطق خصبة وواسعة الا ان الصحراء برمالها وجفاف جوها كانت على مسافة ليست بالبعيدة عن احواض الانهار والروافد، ما ساهم بطغيان الجو الصحراوي على المدن والمساحات المجاورة.

ان هذه الطبيعة المناخية والجغرافية في وادي الرافدين، وخاصة في المناطق الجنوبية والوسطى، لم تكن رحيمة مع الاثاث الذي انتج في الفترات الحضارية القديمة من سومرية وغيرها، وهذه الاجواء الطبيعية كانت السبب الرئيس في تلف و تحلل الكثير من الاثاث، بالاضافة الى ان المواد المستخدمة في صناعة الاثاث لم تكن من الصلابة لتتحمل هذه التغيرات المناخية.

ان الكثير من الاثاث والمواد الاخرى، من كؤوس وخوذ واسلحة وحلي، كانت تدفن مع الملوك او الشخصيات المهمة في قبورهم، كما وان تلك القبور لم تكن تبنى من مواد صلبة قابلة للديمومة ومقاومة التقلبات المناخية، بل من طابوق اللبن غير المفخور اغلب الاوقات ما سهل اندثارها وتلفها، خاصة عندما تغمرها مياه الفيضانات لفترة طويلة نسبيا ما يزيد من نسبة الرطوبة والبلل، وصيفا عند تغير الجو الى الحرارة فان هذا التقلب في الاجواء الطبيعية يسبب التفطر والتكسر والتلف، ان كان لجدران القبور او للآثاث المدفون فيها.

الاثار التي وصلتنا تشير الى انواع متعددة ومتنوعة من الاثاث المنتج و المستعمل، كما ان تلك الاثار تحكي لنا عن التطور والتقدم الذي شهدته صناعة الاثاث، وتقدم لنا في الوقت نفسه فكرة واضحة عن التصاميم المعقدة والجميلة، ما يدل على ان لصانعها الكثير من الحنكة والدراية والذوق الرفيع، كما وان تصاميمها ان كانت تبدو عملية مريحة او معقدة التركيب، الا انها كانت تستجيب لكل المتطلبات وتتناسب مع مكانة من يستعملها، كما ان خصب الخيال وغنى الابتكار والمهارة في الابداع التزويقي والحس الهندسي بالابعاد والتمكن والفهم الصحيح للقياسات لدى الحرفي السومري ومن تلاه من وارث لتلك الحضارة والمنتج لتلك الاثاث، يدل على توفر درجة عالية من المقدرة الفكرية والمعرفية.

ان الحضارات التي تعاقبت على وادي الرافدين والحروب التي كانت تشتعل بين مختلف المدن تدل على التنوع والاختلاف في الثقافات والاعراق والمشارب، غير ان الحضارات المتصارعة او المسيطرة ابقت على الاسلوب المستعمل وأضافت إليه ابعاداً جديدة معززة لطابعه الأصلي ومتماشية معه تماما.

اننا على الاغلب نجهل بشكل قاطع نوعية المواد المستخدمة في صناعة الاثاث، الا ان القيثارة السومرية، وهي المادة شبه الوحيدة الباقية، تحدثنا الكثير، عن نوع الخشب والمواد التزويقية الاخرى التي كانت شائعة الاستعمال انذاك، كما ان الاختام الاسطوانية تشير وتكشف قدر الامكان عن المواد المستعملة، والمواد المعتمدة كانت محلية صرفة روعي في استخدامها طبيعتها المناسبة للمكان والبيئة.

ان اكتشاف المقبرة الملكية في اور، وعلى الخصوص ما يعرف براية اور، يعتبر من اهم المصادر للتعرف على الكثير من جوانب حضارة سومر، ومنها على انواع الاثاث المتعددة التصاميم والمتباينة الانواع وذات التفاصيل الدقيقة ، ويمكن إعتبار الاختام الاسطوانية مصدرا مهما للبحث، حيث تشير بكل وضوح الى مجمل الحياة في وادي الرافدين، واغلب تلك الاختام تعزز ما وجد على راية اور من صور حياتية واحيانا كثيرة تضيف لها ابعادا اخرى مما يزيدها غنى ومعرفة، كما لا يخفى ان الاختام الاسطوانية جاءتنا من فترات قديمة مختلفة قد تعود الى الفترة الماقبل كتابية وتصل الى الفترة الاشورية ما يدل على انها غطت مساحات جغرافية وحضارية واسعة من الساحة العراقية، والاختام الاسطوانية هي خير مصدر لدراسة الكثير من المعطيات الحضارية التي كانت سائدة في العراق القديم ومنها صناعة الاثاث.

في راية اور والتي تصور احتفالا نجد ان الملك وضيوفة يجلسون على كراس شبه متماثلة ويستمعون لعزف موسيقى فلو نظرنا بدقة الى كرسي الملك نجد ان احدى ساقيه صنعت على هيئة ساق حيوان ولكن الساق نفذت بكثير من الحذاقة واضفت على ساق الحيوان هذه الكثير من الرقة والرشاقة كما ان التوازن واضح بين ساق الحيوان وساق الكرسي الذي يمتد ويستند إليه الكرسي من الظهر وكذلك بين الدعامات العمودية والأفقية للكرسي، وان ظهر الكرسي واطئ ما يتيح للملك الجالس ان يريح يده او ساعده على الظهر ويستخدمه متكأ في حين لا نجد هذا المتكأ لضيف الملك مما يعطينا دلائل على ان هناك فروقات في المنزلة والاثاث يحكي لنا عن هذه الفروقات.

لا نستطيع ان نجزم مم صنع مقعد الكرسي ولكن على الاغلب قد حيك من سعف النخيل او من سيقان القصب اذ ان هناك دلائل كثيرة تشير الى هذه الاستعمالات الحذقة للمواد المحلية والتي تمت الاستفادة منها وتوظيفها لخدمة العمل ككل وكذلك لتوفير انتاج يخدم الظرف المناخي.

في المقبرة الملكية اور حيث وجدت راية اور والقيثارات وبعض بقايا من اثاث نجد صوراً مرسومة بطريقة التطعيم على ما يعرف بسماعة القيثارة تشير الى ملحمة جلجامش في الجزء العلوي و في الاسفل نرى صورة اسد يحمل جرة وكلباً يغمد خنجراً في حزامه وما يهمنا هنا ان الكلب يدفع ما يشبه المنضدة المترفعة موضوعة عليها رؤوس حيوانات قد تكون هذه الرؤوس امتداداً لساق المنضدة او تكون اشارة الى اضاح قدمت للآلهة ويبدو ان الكلب يرفع هذه المائدة عن الارض اذ لا نجد لها قوائم تسندها إلى الارضية وتصميم هذه المائدة او الطاولة شائع جدا اذ نجدها مكررة في الاختام الاسطوانية.

صورة هذا الختم مثيرة للاهتمام جدا وتجدر دراستها بتمعن اذا انها تروي لنا الكثير عن تصميم الاثاث ففي الجزء العلوي نجد الكرسي الذي الى يمين الصورة قد اوصلت ساقاه المنفرجتان بعض الشئ بدعائم مقوسة وغير متناظرة بل متعاكسة، والقوس الاسفل قد اسند إلى دعامتين على الاغلب تاخذ شكل ساق وحافر حيوان في حين ان الكرسي الاخر المواجه له من ناحية اليسار تصميمه يختلف بالتفاصيل الدقيقة والخصوصية، اذ ادخلت كرتان في الفراغ بين القوس الاعلى والمقعد، اما الكرسي الثالث في الصف الاسفل فنجد ان الكرسي يختلف بتصميمه تماما اذ قد اضيفت له دعامة تجلس وتستند إلى الارض وفيه ثلاث دعامات افقية تربط ظهر الكرسي بمقدمته وبينها دعامتان عموديتان ما يؤكد على تنوع التفاصيل في التصاميم والابقاء على الشكل العام الموحد.

نجد الطاولة التي تشبه تلك الطاولة المرسومة على القيثارة وكما يبدو لنا انها مرتفعة بعض الشي وقد وضعت عليها مواد قد تكون اطعمة ونجد هذه المائدة باطارين وتقاطع وتصالب الاعمدة داخلها ما يضيف على الشكل العام نوعاً من التناظر والاستقرار المتوازن.

تتكرر هذه التصاميم مع اختلافات بسيطة فيونجد ايضا هناك من يدفع هذه الموائد ما يدل على سهولة دفعها ولا نستطيع ان نجزم ان لها عجلات الا ان حركة الرجل السهلة الميسورة والمائدة مليئة بالتقدمات والاطعمة يوحي لنا بأن لهذه المائدة عجلات تسيرها.

ومن الاثار المهمة والتي تشير بوضوح الى استخدامات المواد الطبيعية من البيئة المحلية صورة ابيائيل جالس على مقعد مصنوع من الحصيرة المنسوجة والمثبتة على اسطوانة يبدو من الشكل ان نسيج الحصيرة متقن والمسافات بين الصفوف المحاكة متناظرة ومتساوية الارتفاع ما يدل على دقة الصنع والدراية باستخدام هذه المادة المحلية وتطويعها لتاخذ الشكل المبسط والانيق للاسطوانة ولو نظرنا بشكل عام للقطعة المنحوتة ككل فأننا نجد ان الفنان قد نحت تمثال ابئيل واختار شكل الاسطوانة لجلوسة ليوازن الشكل العام ككل وليكون منسجما مع ملابسه ولحيته . و يبدو التناغم بين الاشكال المضفورة والمحاكة والجسم الاسطواني للآله وبين ملابسه والكرسي او المقعد الذي يجلس عليه فهذه الثلاثية تبدو لنا كوحدة فنية مترابطة ومتكاملة رغم تنوعها وبالوقت نفسه مكملة الواحدة للاخرى.

ولو اخذنا تمثال اينانا وهو من الفترة نفسها فسنجد ان هذه الالهة المهمة تجلس على كرسي متين مزخرف بنقش محفور لتمثال اسد واينانا اقترن اسمها بالاسود دائما وهنا نجد كيف طوع مصمم هذا الكرسي بحيث جعل الاسد صغير الحجم ويزوق الجزء الجانبي من الكرسي حيث من الممكن ان يبدو للناظر بكل وضوح.

الختم من الفترة البابلية القديمة يصور لنا شخصاً جالساً يتقبل عطايا وصورة المقعد تبدو لنا وكانها استمرار للمقاعد التي شاهدناها سابقا الا ان القسم العلوي من المقعد نجد ما يدل على وجود تنجيد او الحزوز التي على المقعد ذات صلة بالملابس من ناحية تنفيذها ما يوحي لنا بأن هذا الجزء المصنوع من القماش قد يكون مخدة او (cushion).

من التصامم التي تدل على الكثير من الحذاقة والتقدم والتعقيد ممتزجة بالرشاقة والاناقة بالاضافة الى الصنعة الدقيقة والمتمكنة نجد اورنمو جالسا على كرسي نستطيع ان نصفه بكرسي العرش اذ نجد ان يده مستريحة على خلفية الكرسي المقوسة والمنتهية بشكل دائري وينساب هذا المتكأ برشاقة وحيوية ليتصل بالمقعد ثم يرتفع برقة وتناسق ليصل مستوى فخذ الملك ثم يتحد بالساق الامامي للكرسي في حين ان الساق الخلفية للكرسي تمثل ساق ثور رغم ان هذا التصميم المعقد قد يوحى لنا بانه من بنات خيال الفنان الذي نفذ الختم الا انه ليس هناك ما يثبت عدم وجود مثل هذا الكرسي الرشيق والانيق لا سيما اننا نجد مثيلاً اخر لأنحناء الظهر في شكل آخر في حين ان الكرسي الاخر المجاور يحكي لنا عن استعمال تقنية المشبكات في تنفيذ قاعدة الكرسي واستغلال الساقين وتوظيفهما كاطار لحصر هذا المشبك كما ان هذين الكرسيين يدلان على وجود قاعدة كبيرة او مصطبة ممتدة لتريح قدم الجالس.

نجد الزخارف المتناظرة والدقيقة في مسلة اورنمو اما كرسي كوديا فمن السهولة ملاحظة التصميم المتين لساق وهيكل المقعد ذي الاستدارة والانحناءات التي نفذت بدقة وانسيابية.

يستمر الفنان في وادي الرافدين والذي يولي حرفة كل الدقة والاخلاص في الاعتماد على الموروث وتطوير تصاميمه وفقا للذوق السائد ولمتطلبات مجتمعه ففي الفترة الاشورية والبابلية الجديدة بعد ان ترسخت الدولة نجد ان متطلبات تصميم وصناعة الاثاث تماشي الفكر الجديد السائد الا انها لم تتخل كليا عن الموروث فنجد ان قوائم الحيوان قد استعملت ولكن ليس كقائمة واحدة بل اصبحت اثنتين اغلب الاوقات وان ظهر الكرسي قد ارتفع والتشبيكات اصبحت اكثر حذلقة وان ما يعرف بعملية الجرخ في لغة النجارة تبدو واضحة اذ اخذت الساق تبدو رفيعة عند النهاية ومتينة عند الوسط وهي ملفوفة واسطوانية بشكل واضح واصبحت للساق قاعدة صغيرة معقدة نسبيا اذ تتكون من شكلين اسطوانيين بينهما امتداد للساق الملفوفة نفسها، الكراسي اصبحت اكثر ارتفاعا والمائدة اوطأ ما يسهل استخدامها اذ اصبحت تناسب ارتفاع وامتداد اليد لتناول الطعام والتقدمات بسهولة ويسر.

لقد طور الانسان الاشوري الفن بما يلائم فكره السياسي والاجتماعي الذي استند إلى التوسع والامتداد والابهة والعظمة فاخذت الاثاث في هذه الفترة تتلاءم مع هذه القيم واصبحت تشتمل على الكثير من الزخارف والاضافات والتحويرات لاشكال طبيعية كما ان مصمم الاثاث اخذ باقتباس الكثير من الموروثات لدول مجاورة او دول وقعت تحت السيطرة الاشورية ووظف وطوع تلك الاساليب لتخدم المنحى العام السائد.

من المكتبة العربية

من أجل إستراتيجية حضارية

تأليف :د. أنور عبدالملك

في هذا الكتاب يستعرض المفكر المصري الدكتور أنور عبد الملك اكتشاف مسألة الحضارات ودور العالم الثالث والشرق في صياغتها والجبهة الوطنية المتحدة بوصفها استراتيجية تاريخية للمساهمة في الحضارة ودور ذلك التوجه الحضاري في صياغة عالم جديد. وللمفكر أنور عبد الملك الكثير من المؤلفات المهمة أبرزها دراسات في الثقافة الوطنية والجيش والحركة الوطنية والمجتمع المصري والجيش والفكر العربي في معركة النهضة ومدخل إلى الفلسفة ونهضة مصر وريح الشرق وتغيير العالم والقومية والاشتراكية.. وأشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى أن مرحلة تغيير العالم بدأت لأول مرة منذ قيام النظام العالمي حول مركز الغرب في القرن السادس عشر وتمثل التغيير في تحديد حيز الحضارة الشامخة بانتصار فيتنام وعبور مصر أكتوبر، كما أن رسالة صحوة شعوب الشرق المعلنة في مؤتمر باندونغ ١٩٩٥ بدأت تقتحم طريقها إلى النور.

الإبداع الشعري وكسر المعيار

تأليف :د.بسام قطوس
الناشر: مجلس النشر العلمي
الكويت ٢٠٠٥

الأستاذ الدكتور بسام موسى قطوس هو ناقد أكاديمي فلسطيني يشغل مقعد أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة اليرموك في الأردن، إضافة إلى كونه عضواً في أكاديمية أكسفورد للدراسات العليا؛ واتحاد الكتاب العرب بدمشق، ورابطة الكتاب الأردنيين، وهو يعمل حالياً أستاذاً للنقد الأدبي الحديث في كلية الآداب بجامعة الكويت. يأتي الكتاب الجديد للدكتور قطوس (الإبداع الشعري وكسر المعيار.. رؤى نقدية) في بابين وأربعة فصول لاحق من خلالها مظاهر كسر أو تجاوز المعيار الشعري في المراحل التاريخية المتأخرة، ومثّل لكل مظهر بشواهد شعرية اجتهد في شرح وتحليل ملامح ومميزات خروجها عن المعيار السائد.

من ينابيع التجديد

تأليف :محمد أمين ناشر النعم
الناشر: دار فصلت . حلب ٢٠٠٥

يتصدى محمد أمين ناشر النعم لقراءة ودراسة ثلاثة من المجددين في الفكر الإسلامي . التجديد الذي هو قطع الصلة مع الحالة الفكرية الراهنة، المبتعدة عن الدين أو المشوهة له، وإعادة المباشرة مع النص واستنطاقه ليستجيب للواقع ويرتقي به وفق الخط الإسلامي الأصيل. والثلاثة الذين يدرس في فكرهم: الفرنسي رينيه جان غينون والبوسني علي بيجوفيتش، والسوري محمود عكام. الفرنسي رينيه جان ماري جوزيف غينون ١٨٨٦ . ١٩٥١ أسلم وتسمى باسم (عبدالواحد يحيى) واسمه لا يزال مجهولاً في عالمنا العربي.

خريف الثورة صعود وهبوط العالم العربي

تأليف :أحمد المسلماني
الناشر: دار مريت . القاهرة ٢٠٠٥

أحمد المسلماني، كاتب صحافي في جريدة الأهرام المصرية، له العديد من المقالات والابحاث المنشورة، ومن مؤلفاته (ليبيا.. حدود التغيير)، الأحزاب السياسية في مصر، (المؤسسة العسكرية في إسرائيل) (الحداثة والسياسة) و(ما الذي يجري في مصر) و(ما بعد إسرائيل) و(موسوعة ١١ سبتمبر).. (الرؤية العربية).

وفي تقديم المفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري لهذا الكتاب أعلن انتماء هذا الكتاب إلى فئة المراجعات وإعادة النظر، والذي يستهدف إعادة قراءة ما كان من شأن الثورة والثائرين، وعن ذلك الطريق الذي صعد بالعالم العربي في سنوات الانتصار ثم هوى به في سنوات الانكسار يمر الكتاب على عدة ثورات عربية مفصحا عن تأملات في معالم الخريطة العربية من الزمان إلى المكان، ومن القصور إلى القبور

سهم يهمس باسمي

تأليف :أحمد الملا
الناشر: دار الكوكب . بيروت ٢٠٠٥

صدر عن دار (الكوكب) للنشر والتوزيع (بيروت) كتاب جديد لأحمد الملا بعنوان (سهم يهمس باسمي) والكتاب هو مجموعة شعرية تتألف من ٢٩ قصيدة من عناوينها: لو تدخلين، ويداك غريبتان، عذر صغير فقط، الحارس والملاك، الحقيبة، وصية... الخ. وتتميز هذه المجموعة بالشغل على اللغة والتمرس بكتابة القصيدة السطر، والتكثيف المستند إلى استعارات صورية تغلق باب القصيدة بعنف يهدف إلى صدم القارئ وخياله.